فعادة المذكرات لم تتأصل بعد كتابتها بين رجالنا ، وما كتب منها هو أقرب للتقارير منها للمذكرات حسب فهم الغربيين لها ، او هي تجميع لذكريات حوادث قديمة كتبت بعد ان مضى بعض الوقت على هذه الاحداث واختلطت في كثير من الاحيان بالنسيان وبالعواطف الشخصية · هذه الحقيقة تفقد المذكرات الكثير من الاهمية السياسية لانه من الجائز ان يعدل السياسي رأيه وموقفه ازاء موقف معين بعد مضي فترة من الزمن، والمؤرخ يحتاج من السياسي موقفه ازاء هذه المسألة وقت حدوثها وفي حياته، ثم ان المذكرات لا يمكن تقويمها الا في اطار صاحبها من ناحية الدور الذي لعبه في الاحداث ، قربه وبعده عنها ، ثم اهميته من ناحية اتجاهاته الحزبية والسياسية،وعلى سبيل المثال : ما يقلل من اهمية مذكرات الاستاذ اميل الغوري (فلسطين عبر ستين عاما (جزءان بيروت ١٩٧٢ ـ ١٩٧٣) انه كان حزبيا فهو يستطيع ان يحدث ويشرح في دقة موقف حزب (المفتي) او ما اطلق عليهم اسم المجلسيين ، ولكنه لا يمكن ان يؤخذ كلامه حقيقة مسلم بها تماما حين يبدي رأيه في موقف (المعارضين) ·

ويبدو على مذكرات الاستاذ احمد الشقيري (بيروت ١٩٦٩) الطابع المستقل اذ كما يقول في ص ١٠٧ انه بسبب فتور الحركة الوطنية ١٩٢٨ واشتداد الخلاف بين رجالات البلاد وارستقراطية رأي الشباب « ان ننفخ روحا جديدة في الحركة الوطنية وان نشق خطا وطنيا مستقلا ، لا مجلسيا ولا معارضا » ، وفي معرض حديثه عن الحركة الوطنية وتعايشها مع الادارة الانجليزية وجه اتهامات كثيرة الى من اسماهم بالمجلسيين والمعارضين « ·· فالسيد أمين الحسيني بدأ حياته الوطنية شابا ثائرا ثم اصبح رئيسا للمجلس الاسلامي الاعلى بموافقة السلطة البريطانية ··وقد حدث ذلك في عهد هربرت صموئيل المندوب السامي اليهودي البريطاني ·· والسيد راغب النشاشيبي رئيس بلدية القدس وسائر اعوانه ورؤساء البلديات كانوا يعينون لمناصبهم بموافقة السلطات البريطانية ، وبهذا اصبح هذان الحزبان الوطنيان الكبيران يعيشان في كنف السياسة البريطانية » · ولكن الاتهامات الخفية التي وجهها الشقيري في ثنايا كتابه (للمجلسيين) وللمفتي دفعت الغوري الى الرد عليه في كتاب آخر « الشقيري في الميزان » ، وخرجت بذلك هذه الكتب عن مجال بحثنا لانها غرقت في بعض الامور الشخصية ·

احيانا يحدث نوع من الخلط بين المذكرات والانطباعات واليوميات ، ما كتبه عارف العارف (رغم ان كتابه النكبة قد مضى عليه اكثر من عشر سنوات) هو اقرب الى اليوميات ، وكان عارف العارف منذ عهد الدراسة في الاستانة قد درج على تدوين مذكراته في يوميات متتابعة وازداد شغفه باليوميات لما صدر قرار التقسيم · ويقول في مقدمة الجزء الاول : انه رواية « يروي للناس ما حدث بل وما رأى وما رواه له العدل الثقات مستهدفا ان يدون الوقائع قبل اندثارها ·· ويحفظها لابناء الاجيال القادمة لان من حق الاجيال ان تعلم ما الذي جرى وكيف ولماذا المت النكبة وكيف انقلبت الاوضاع»·ومع حرص العارف على تدوين الامور ساعة حدوثها محجما عن ابداء الرأي فله تحفظ قد يبدو غير معقول علميا «بأن احسن التواريخ واصدقها ما يكتبه المؤرخون بعد مضي ما لا يقل عن ربع قرن من الزمن ، وليس الذي يكتب فور وقوع الحادث ، اذ ان الكاتب مهما اوتي من عدل وحكمة وصدق ونزاهة لا بد ان يكون عند حدوث الحادث متأثرا بمصالحه الذاتية او الحزبية او القومية او الدينية ولا يكون حكمه في هذه الحال بعيدا عن مواطن الريبة والزلل ، واما الحكم الذي يلفظه المؤرخ بعد حين من الزمن فيكون انقى · وكلما طال الحين كان الحكم ابعد عن الغمز والطعن ، اضف الى ذلك ان الكثير من الحقائق التي يسدل الناس بحكم غريزتهم الى انكارها حين وقوعها ، تكون قد تكشفت موضح امرها ، ويكون الاشخاص الذين جرت الحوادث على ايديهم